قصائد فوتوغرافية(١)

شاكر لعيبي

١

نتلمس العالم
خرجتُ للمنفى بخطوٍ واثقٍ
بينما كان النجمُ يتأرجحُ في الكوّةِ المُطلّة عليَّ من العدم

أنتِ هناك في صَدَفَة المنزل
وأنا هنا في كوخ الحطاب الذي يجمع الذهب من فوق القش

ما زال تراب الضواحي في رئتينا

حنجرتك تخفق على حنجرتي
والشامة على ظهرك تلتمع
وهذه الدمعة الوحيدة تعلن عصيانها
بينما ظبيّ المنفى يقفز مَرِحاً من تلّةٍ لتلةٍ
ونحن نتلمّسُ العالمَ
جذراً جذراً
وورقة ورقة

خرجتِ عاريةً مثل صباحٍ عالق بالكُوَيْكبات
معافاة من الحمّى

البُداة هنا يرفعون سواد الخيمة في آخرة الفضاء
حيواناتهم تضيع في الأفق الواحد
الكلُّ هنا هائمٌ في احوراراتِ عيون الراعيات
الغضب صافٍ يتفجر في طرف شفتيّ
المنفى هنا أثر جاهليٌّ
وهذه الأرض البسيطة تتمة خطوتي

أسمعي:
ثمة نشازٌ في أنشودةِ الذاهبِ للموتِ وحيداً

٢

من اكتمال المروءة

اكتمالُ المروءةِ أن تبكي يا شاكر طويلاً أمام البحر
اكتمالُ الخُلُق يا شاكر أن تُقَبّلَ التينةَ الناضجةَ قبل أن تسقط

من اكتمالِ المروءة أن تدندن
من أجل العَدَم القابعِ في الشيء
يا بنيّ، لا تكسر قلبَ الجوزةِ قبل أن تأكلها

من الكمال أنْ ترفع الحائط لكي يرتعش الضوء على أحجاره
من الكمال أنْ تعبث برأس القطة الجوّالة في الحجرة،
أنْ تمس أقدام السيدة العاريةْ
على سريرها، أنْ تمسّد عُرْف الحصانْ
من الكمال أنْ تحتفي بالمكانْ
بهذا المكان الصغير الذي تشغله يدك المرتعشةْ

اكتمال المروءة أنْ تغسلَ أقدامَ المروءة
أن تحتضنَ العالمَ الطفلَ بين يديك
وتغتسل في النهر الوحيد الضائع في القرية

العالم أمامك طيفٌ
الوجود وراءك طرة الصبي في مهدِهِ

من اكتمال الخلق أن تختلق مساراً للكوكب الدُرّيّ
الذي هو أنتَ
أنتَ مدية تخترق حواسَّكَ
أنتَ فتنةٌ لنفسكَ
أيها الفاسدُ

من اكتمالِ الرجولة أنْ تنظرَ إلى حكمةِ النَّبْتةِ الخُنْثى
كيف تتسلّق الحائط
ذلك الحائط نفسه المضاء بالشمس

من اكتمالها أن تتبضّعَ من حانوت الأنثى
الممتلئ بالأنواع كلها

يا شاكر أنت أبُوّةُ الصنوبر المترنّح في صيفٍ مستمرْ
أنت الحَجَل الأغرْ
المضروب فجأة بالصاعقهْ

من اكتمال الخلق أنْ ترتدي زيَّ الشجره
أن تضع قناع المُحارب ولا تحارب إلا
ظل الغراب الساقط على جثة الأمل

برجك ناري ودمعتك هوائيهْ

من اكتمال الشكر أنْ
تقبل يد امرأة الحانة التي تسقيك ما يشبه العافيهْ
أن تقبل لُمّة العاهر الغافيهْ
بعد منتصف الليل تحلم في درب التبّانه

نواياك يا شاكر تنطفئ الآن تحت أمطار الريف
من اكتمال العذاب إذَنْ
أن تصمت حين يفور الكلام في الحنجرهْ

أن تترقرق عصفورتكَ في الظهيرة على صفحة السماء
أن تحبس كركرة الطفل
القابع
في
لهاثك
ل
هـ
ا
ت
ك
وتُصعّد بين عروقك نشيج الأنبياء
المنطوين كالدفاتر في منافيهم
المعتزلين في حجرات شبه مضاءة

٣

أنت تتأملين البرتقالة النعسانة
أنت تتأملين برتقالة القمر النعسانة
وأنا أفتش في الحديقة عن آثار أبراجكِ حديثة العهد
وروائح رقبتكِ المختلطة بالزغب الأحدث سناً

يدك تستلقي في الحضن الساخن
والجذع يستند إلى الهواء فحسب
الهواء المائل إلى الخلف لفرط حنانه
تلك الابتسامة معلقةٌ إلى الأبد في الهواء
تلك الابتسامة التي حيَّرت الفلاسفة

ثم ثمة تلك اليد الأخرى التي حيَّرتْ أختَها
وهي تسقط على باقة من زهور الحقل
محض مصادفة سعيدة
وذلك الثوب الذي مرّت عليه رياح الشمال
غيورةً من جسارة ما يحتمل

الرقبة مائلة قليلاً إلى حيث يطلعُ الكائنُ الحيُّ بدمعته المتحجّرة
أنت تستندين إلى الخشب الذي
استنزفه طول المكوث وحيداً في عزلة المنزل
الوُرَيْدات تحيط بك
والكرسيّ تتسلق الأعشابُ أقدامَهُ الأربع
لتنغرس بين أصابعك العارية
الورَعُ والخَفَرُ يحتضنان العالمَ في حضورِكِ الغريبْ

وِدادٌ زَهْرِيّ
وحَيَاءٌ نباتيّ

سترتعشُ العظاية قربك في الحديقة خجولةً من عُرْيها في الحقل
مُتقدِّمةً على صفحةِ وُرَيْقةٍ ساقطةٍ

كان صوتكِ مبحوحاً وأنت تلهثين باسم الغامض
كنت في الغامض نفسه
أنت الغامض

---

(١) قصائد جديدة من مجموعة معدة للنشر بعنوان (جذورٌ وأجنحة: قصائد فوتوغرافية)، وفيها يندغم الفوتوغراف نهائيا بالنص الشعري، كما فيها إلماحات إلى قصيدة النثر المقفاة التي يسعى الشاعر لتطويرها.

خارج المدى

كريم جثير... ماذا يصنع الموت باحلامك الجنوبية؟

علي حسن الفواز

يبدو ان العراقيين قريبون من لعبة الموت بامتياز، يشاركونه بومياته المليئة بالضجر والسكون وانتظار قوانين السماء.. العراقيون حالمون بطريقة عجيبة،،لان احلامهم هي فرصتهم الوحيدة للخلاص من مجانية الموت، الموت ضجرا، او قهرا، او انتظارا، او تحت نوبة عاتية من الفخاخ او زوار الفجر او العابرين الى اوهامهم !!! مات كريم جثير المسرحي وصانع الحكايات والاحلام من الضجر والقهر وغياب الاحلام،، قلبه لم يتحمل وقائع الزمن العراقي المفخخ، لم يتحمل وقائع الليلة مابعد الالف، فاطلق الوهم والنعاس على شهرزاده، ليظل شهريار عاطلا عن الانوثة،يابسا، منكسرا، ربما يبحث عن شهرزاد غائبة! لم يكن كريم جثير هذا الطيب والجنوبي والباحث عن النقاء يفكر بموت اسطوري يشبه موت ابطال التراجيديا اليونانية،، كان يحلم بحيوات ضاجة، يركض نحو افكاره وطيوره وصوره وكأنه يمارس طقسا في اللذة،، هرب من اجل حلمه.

هرب من يوميات مدينة الثورة الحاملة كل رايات الجنوبيين،، تسكع في زوايا الليل وعند مراثي الاصدقاء،، كان يمارس الجنون الجمالي بامتياز غرائبي،، يلتذ باحزانه من اجل حلمه وحريته،، هرب من سلطة الاب الى اوهام الشارع والمنفى،، لاشيء يسكنه سوى ابطال يشاطرونه الحلم والعذاب،، سوى انثاه الباذخة بالمرايا والنجوم والحنين،،لم يغب عنه جنونه وجنوبه ومراثي ابطاله،، اراد ان يشاطر المدن عوالمها السرية، قرأ من اجلها تاريخ المسكوتات واحزان الكائن ويوميات الظل،، لذا كان غير بعيد عن مكاشفة الاخرين حزنه الشخصي المعلن والمباح، لانه يصنع حكايات واحلاما وأبطالا يؤنسن من اجلها الطبيعة وعلاقات الرعب التي تشعره بأن العالم قريب من الطوفان،، وان الفن هو آخر ما تبقى للانسان ليترك من خلاله شواهده على الماء.

مات كريم جثير بالسكتة القلبية، مات بعيدا عن احلامه قريبا من جنوبه الشخصي،مات عند حاضرة الاصدقاء المفزوعين،، لم يترك لهم موته سوى احلام عاطلة عن التنفيذ، لم يترك لهم موته سوى ضحكات خجولة كانت تندى منه وكانه يمارس اعترافا بحبه لاول مرة.

مات كريم جثير ولم يبق من احزان مهرج السيرك سوى السخرية!! مات ولم يبق من احدبه العتيد سوى اصوات اجراس الكنائس وهي تقرع لموت كوني!! كان يحلم باحدب نوتردام كثيرا، كان يماثله احلامه وشهواته وخجله،، استعان بكل مصادر القوة ليمنحه احساسا بالتعالي،، جلب له جان فالجان ليعينه على التطهير والخلاص والقوة، جلب له يوميات دافقه بالحلم الباريسي والنساء اللائي يركضن ويغنين من اجل لذتهن، ليمنحه احساسا بالاشباع الروحي والايروسي وينقذه من احزان الروح وخطيئة الجسد!!

لكنه آثر ان يجعل احدبه احدبا كونيا صالحا لكل المدن والمراثي، جسده مباح للحروب والاخطاء ومكشوف للعربات والعابرين، يمكن ان نشاهده في بغداد يمارس طقوسه واحلامه وجنونه، يقفز من شارع الى آخر يطلق اجراس باعة النفط و الغاز او ابواق الحراس الليلين مثلما يمارس صنوه طقوسه في ليالي روتردام.

مات كريم جثير في زمن الموت المجاني، في زمن الحروب الشارعية والمشاعية، مات من دون ان تمارس احلامه سيولتها وطوفانها وطهرانيتها في غسل الجسد العراقي المباح لحروب الاخرين واوهامهم، مات كريم جثير صديق المدن والرائي الجميل،، مات الجنوبي الحالم والانيق والخجول،، مات من دون ان يرمي حجرا بوجه قاتليه قهرا.